

البعد الثقافي والمعرفي في الدراسات الجيوسياسية المعاصرة Cultural and cognitive dimension in contemporary geopolitical studies

جامعة وهران 2- محمد بن أحمد- الجزائر- مخبر البحث: الفلسفة وتاريخ الزمن الحاضر	الفلسفة والتحليل الجيواستراتيجي	بومدين بلغراس* BOUMEDIENE BELGHARRAS belgarras.boumdiene@univ-oran2.dz
جامعة وهران 2- محمد بن أحمد- الجزائر- مخبر الأبعاد القيمة للتحولات الفكرية والسياسية في الجزائر	الفلسفة	الحسين الزاوي EL Houcine ZAOU zaoui.houcin@univ-oran2.dz

تاريخ النشر: 2022/05/05

تاريخ القبول: 2022/04/05

تاريخ الإرسال: 2021/09/12

ملخص: لقد كانت نهاية الحرب العالمية الثانية حجراً أساسياً لنهاية الصراعات العسكرية التقليدية، لتنتقل إلى الصراعات الإستراتيجية غير المباشرة. وفي ظل التحولات التي يشهدها العالم بفعل العولمة والتطور التكنولوجي خاصة وسائل الإعلام والاتصال والانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها، اتخذت الدول العظمى من الغزو الثقافي أداة أساسية لتحقيق أهدافها بتغيير أنماط الصراع الجيوسياسي من القوة العسكرية الصلبة إلى القوة الناعمة ومن المواجهة المباشرة إلى الاختراق غير المباشر. تستهدف هذه الدراسة الإجابة عن الإشكالية الجوهرية هي: ما مدى أهمية البعد الثقافي في القراءة الجيوسياسية؟ بغية وضع رؤية واضحة لمواجهة تحديات العصر وإبراز البعد الثقافي في الصراعات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الثقافة؛ القوة الناعمة؛ الغزو الثقافي ؛ الجيوسياسية .

Abstract: The end of the Second World War was a cornerstone of the end of traditional military conflicts, after which they moved to indirect strategic conflicts. In light of the transformations the world is witnessing due to globalization and technological development, especially media, Internet, social media and others, the great countries have taken the cultural invasion as a tool to change geopolitical conflict from hard power to soft power and from direct confrontation to indirect penetration. This study answer this problem: how

* المؤلف المرسل: belgarras.boumdiene@univ-oran2.dz

important is the cultural dimension in geopolitical reading? to defy the chalenges of this era and highlight the cultral dimension in contemporary conflicts.

1. مقدمة:

عاش العالم عبر العصور ولا يزال يعيش صراعات لا يمكن حصرها وقد اختلفت أشكالها وأسبابها ونتائجها ونهاياتها، حيث أن جميع الأمم والشعوب تسعى لتأمين مصالحها الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والثقافية التي قد تتعارض مع أجندات وأهداف شعوب أخرى ما يجعل النزاعات غير متناهية ومختلفة من زمن إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى . وقد قامت العديد من العلوم بدراسة هذه الصراعات بغية البحث عن ميكانزمات لتقريب وجهات النظر وتحقيق مصالح مشتركة لجميع الشعوب وبالتالي التقليل من الصراعات والحد منها .

إلا أن ما شهده العالم من التطورات التكنولوجية والتي شملت جميع المجالات الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية وغيرها، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، أحدث تحولا كبيرا في مفهوم الصراعات من السياقات العسكرية الكلاسيكية المباشرة إلى مجال الصراعات الإستراتيجية غير المباشرة التي باتت تنتهج أساليب أكثر تطورا من سابقتها، من خلال الغزو الاقتصادي والإيديولوجي: كالذي دار في الحرب الباردة بين المعسكر الشرقي الاشتراكي، بقيادة الإتحاد السوفياتي من جهة، والمعسكر الغربي الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى ؛ والتي لم تستعمل فيها الأسلحة العسكرية الثقيلة كالقنابل النووية رغم أن المعسكرين كانا يمتلكانها وهددا باستعمالها، ومع كل هذا فإنها انتهت بتفكك الإتحاد السوفياتي . وبهذا أضحت حماية حدود الدولة جغرافيا لا تكفي لتوفير الأمن والسلام داخل الدولة وانتقلت إلى حروب الجيل الرابع والحروب الإستباقية وغزو الفضاء والحروب السيبرانية خاصة مع التقدم التكنولوجي والرقعي والإنتشار الواسع للعمولة التي جعلت العالم قرية صغيرة من خلال الكمبيوتر والإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام والغزو الاقتصادي والثقافي ولعل هذا الأخير من بين الوسائل الهامة الإستراتيجية التي تعمل للولوج داخل الدول والتأثير فيها بطريقة غير مباشرة والتي أضحت تدرس في الجامعات والمعاهد الإستراتيجية والجيوسياسية.

إن الباحثين في الحقل السياسي والعلاقات الدولية والعلوم الاجتماعية والفلسفة السياسية يظهر لهم جليا التطور الملحوظ في طبيعة الصراعات المعاصرة خاصة بعد الحرب الباردة، والتي تلعب الثقافة فيه دورا مهما في التأثير على الفرد وبالتالي على المجتمع ككل سواء إيجابا أو سلبا، ما يفسر الانتشار الواسع للحروب الأهلية داخل الدول والجماعات المسلحة والحروب اللامتناهية والدول الفاشلة والحركات الانفصالية التي استثمرت في الثقافة من أجل التأثير على الأوضاع وتحريكها .

كما أسفرت نهاية الحرب الباردة على بروز منظمات دولية حكومية وغير حكومية تهتم بالشأن العام العالمي كمنظمة الأمم المتحدة وحقوق الإنسان ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة التجارة العالمية وغيرها، مما جعل التبادل المعرفي والثقافي والتجاري لا تحده الحدود السياسية للدولة من الولوج إلى شعوبها وأسواقها وبالتالي قد ينجم عن ذلك اختراقات غير مباشرة تؤثر سلبا أو إيجابا في الأمن القومي للدولة .

إشكالية البحث

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الإشكالية الجوهرية والمتمثلة في:

ما مدى أهمية البعد الثقافي في القراءة الجيوسياسية ؟

أما الإشكاليات الفرعية تتمثل في التساؤل: هل يمكن اعتبار العوامل الثقافية متغيرات تفسيرية للصراعات الجيوسياسية المعاصرة ؟ ما مدى تأثير الثقافة على الأمن القومي ؟

فرضيات البحث

تعالج هذه الدراسة الفرضيتين التاليتين:

- يعد الغزو الثقافي للدول من خلال القوة الناعمة ذو تأثير فعال على السياسات الداخلية والخارجية للدول وعلى أمنها القومي .
- انتقلت أدوات الصراعات الجيوسياسية الحديثة من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة ومن المواجهة المباشرة إلى الاختراقات غير المباشرة .

منهج البحث

و لأجل أن يكون البحث شاملا ومبينا على رؤية واضحة للأسباب التي أسفرت عنها الصراعات الإثنية والطائفية والحروب الأهلية وغيرها من النزاعات التي أصبحت تهدد الأمن القومي والعالمي على حد سواء، يتوجب علينا توظيف أكثر من منهج لدراسة الموضوع بطريقة أكاديمية، لهذا تتبعنا في هذا البحث المنهج التاريخي لإبراز الأحداث

التاريخية والصراعات السياسية داخل الدول وتبيان تطور الأحداث عبر فترات زمنية مختلفة، كما استعملنا المنهج الوصفي-التحليلي الذي يبني الدراسة على وصف الوقائع وتحليل العلاقة بين الظواهر المختلفة لبلوغ نتائج أكثر دقة وتبيان دور الثقافة في الصراعات الجيوسياسية .

2. الإطار المفاهيمي

لقد أضحت المواضيع الأمنية وخاصة الجيوسياسية تفرض نفسها في الساحة السياسية والإعلامية والأكاديمية بقوة، هذا نظرا للمتغيرات التي تحدث في العالم عامة وفي الوطن العربي خاصة، ويجدر بنا تحديد المفاهيم التي تدور حولها الدراسة حتى لا تكون محل لبس للباحث أو القارئ، خاصة وأن بعض المصطلحات تختلف مفاهيمها وتتعدد حسب الميادين والعلوم التي توظفها .

1.2 الثقافة:

تستعمل للدلالة على "الرقى الفكري والأدبي والاجتماعي للأفراد والجماعات، فالثقافة لا تعد مجموعة من الأفكار فحسب ولكنها نظرية في السلوك، مما يساعد على رسم طريق للحياة إجمالاً وبما ينطبع عليه شعب من الشعوب، وهي الوجوه المميزة لمقومات الأمة من العقائد والقيم واللغة والمبادئ والسلوك والمقدسات والقوانين والتجارب والعادات " (معهد البحرين للتنمية السياسية، 2014، صفحة 28)، والأخلاق والموروثات التاريخية والذاكرة الجماعية للمجتمع. والثقافة هي من إنتاج المجتمع وتصنف إلى: ثقافة مادية وتشمل الأشياء المادية التي تبرز داخل المجتمع من الملابس والمباني والمعابد والمصانع والأدوات، والثقافة غير المادية كالمعتقدات والقيم والأخلاق والمنظمات واللغات وغيرها.

2.2 الجيوسياسية:

الجيوسياسية تسعى لجمع علمي الجغرافيا والسياسة لدراسة العلاقات الموجودة بينهما وتطبيقها داخل الدولة وعلاقتها مع الدول الأخرى بحيث تدرس مصالح الدول والاستراتيجيات المطبقة على المستويين الإقليمي والعالمي ووضع نظريات إستشرافية للعلاقات الدولية والتحديات المحتملة التي قد تواجهها الدول والعالم أجمع، كالصراعات الإثنية وتهديدات الأمن العالمي خاصة مع انتشار الأسلحة النووية والصواريخ الباليستية، وتهديدات التلوث البيئي والتغيرات المناخية وغيرها . كما تسعى الجيوسياسية للاستفادة من الميزات التي تمنحها الجغرافيا الطبيعية والبشرية والمواقع الإستراتيجية والإمكانات

المتاحة للدول لإستثمارها في سبيل تحقيق الرفاهية والازدهار للدولة وشعبها وتحقيق الأمن القومي والبيئي والسلام العالمي .

يعرفها الفرنسي فيرناند برودال: " الجيوسياسية هي دراسة السياسة في فضاء جغرافي وإطار زمني، حيث تجيب على سؤاليين مهمين الأول متعلق بمفهوم القوة والثاني حول تموقع هذه القوة." (بوهيدل، 2016، صفحة 236)

3. الغزو الثقافي:

فهو الثقافة الإستراتيجية كان قد استشر منذ زمن بعيد لكنه لم يتكرس إلا منذ سنة 1980 من خلال نظرية العلاقات الدولية والدراسات الإستراتيجية (دي مونبريال وكلين، 2011، صفحة 375) وذلك بتغيير أنماط الفكر الجيواستراتيجي من القوة الصلبة إلى القوة الناعمة ومن المواجهة المباشرة إلى الاختراق غير المباشر، فتراجعت استراتيجيات الحروب العسكرية التقليدية لتحل محلها وسائل إستراتيجية خاصة لتحقيق مصالح الدول المتطورة ومن بينها الثقافة الإستراتيجية والغزو الثقافي بنظريات جيوسياسية معاصرة.

إن الثقافة الإستراتيجية هي حصيلة عمل متواصل من الأفكار السياسية والإستراتيجية والعملياتية (دي مونبريال وكلين، 2011، صفحة 381)، والتي سعت من خلاله القوى العالمية للوصول إلى كيان مترابط يحل محل الكيانات القطرية الصغيرة، ومثال ذلك الاتحاد الأوروبي الذي سبق الزمن في تأسيس وحدته وتكوين سياسة داخلية وخارجية موحدة وإنشاء عملة اقتصادية هي عملة الأورو، يتعامل بها معظم دول الاتحاد، كذلك حلف الناتو الذي أسس عقيدة وثقافة إستراتيجية موحدة . وفي الجانب الآخر إنشاء مجموعة بريكس التي ضمت حسب أحرف اسم المجموعة كل من البرازيل، روسيا، الهند، الصين، جنوب إفريقيا. فكان لهذه الاتحادات تأثير كبير في الاقتصاد العالمي وفي بروز دول جديدة أصبح لها دور فعال في ميزان القوى العالمي بفضل التقارب الثقافي الإستراتيجي الذي أدى إلى هذه الاتحادات.

فالغزو الثقافي يشمل مجموعة من مجالات الثقافة أو جلها، وهنا يُبرز وصف الثقافة العالم البريطاني إدوارد تايلور فيعرفها: " إن الثقافة أو الحضارة هي ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والقانون والأخلاق والعادات والعرف وكافة المقدرات والأشياء الأخرى التي تؤدي من جانب الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع " (بركان، 2010،

صفحة 65)، وإن هذا التأثير يشمل أيضا مقتنيات الأفراد أي السلع المستوردة حيث أنه حسب ثقافتنا وتفكيرنا سنقتني متطلبات الحياة التي نحتاجها ومن ذلك تدخل الأطعمة والألبسة ونوع السيارات وديكور المنازل وغيرها من المواد والسلع المتداولة في الحياة اليومية لدى الشعوب، والتي تبرز تفكير المجتمع والثقافة المتأثر بها وهنا يتضح جليا التأثير البريطاني والأمريكي والفرنسي على العديد من ثقافات الشعوب وهذا ما يسمى بالقوة الناعمة.

4. القوة الناعمة:

انتشر مفهوم القوة الناعمة منذ القرن العشرين ولقي رواجا كبيرا مع الحرب الباردة وهو ما اصطلح عليه بـ "soft power" "la puissance douce" حيث ظهر جليا تراجع الحروب العسكرية التقليدية وهي ما تعرف بـ "power hard" أو "la puissance dure" خاصة بعد امتلاك عديد الدول الأسلحة النووية، ومع العولمة برزت تحديات جديدة تواجهها الدول لحماية أمنها القومي ومصالحها الإستراتيجية .

و نظرا لما يشهده العالم من تجاذبات وتوترات لا تستثني أحدا من العالم، يقول مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق زبغنيو بريجنسكي إنه " للمرة الأولى في تاريخ العالم أصبح المجتمع البشري ككل مهتم بالسياسة وفاعل فيها " (boniface, 2019, p. 156) حيث أصبح للرأي العام المحلي والدولي دور فعال في بناء سياسات الدول ورسم الاستراتيجيات في مواجهة التحديات والتهديدات العالمية.

وكان لنظرية صراع الحضارات للباحث الأمريكي صامويل هنتغتون من خلال مقال له صدر في 1993 ليطوره بعد ذلك في كتابه "صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي" الصادر في 1996، مبرزا نوعية الصراع العالمي بعد الحرب الباردة التي ستكون في نظره صراعات حضارية وثقافية ومجموعات إثنية وخاصة دينية . فيقول هنتغتون: " إن المصدر الأساسي للصراعات في هذا العالم الجديد لن يكون مصدرا أيديولوجيا أو اقتصاديا في المحل الأول فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية والمصدر المسيطر للصراع سيكون مصدرا ثقافيا وستظل الدول الأمم هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية لكن الصراعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين أمم ومجموعات لها حضارات مختلفة وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية ذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل ". (بركان، 2010، صفحة 90)

فلقد كانت الحرب الباردة بمثابة حرب بروباغوندا أي حرب من أجل كسب الرأي العام . فالمعسكر الشرقي يدافع عن الاشتراكية وينتقد الرأسمالية، والمعسكر الغربي يروج للرأسمالية والديمقراطية وينتقد الدكتاتوريات الشيوعية (boniface, 2019, p. 157)، إلا أن الصراعات بعد الحرب الباردة شهدت تحول كبير في محركاتها وأسبابها مما أدى إلى سعي الدول إلى التركيز على التطور العلمي والتكنولوجي والإستراتيجي لمواجهة المخاطر المستقبلية خاصة في المجال السيبراني والجماعات المسلحة وأنظمة التجسس والاختراق وغيرها.

وأصبح للرأي العام قوة فاعلة في الساحة الدولية والذي تطورت وسائل التأثير فيه وتحريكه من خلال التطور الكبير لوسائل الإعلام والاتصال وانتشار الانترنت عبر العالم ووسائل التواصل الاجتماعي والقنوات الإعلامية، ولم تعد الحكومات تتحكم في المعلومة بل أصبح انتشارها يخترق حدود الدول كما حدث في فضائح وثائق باناما بابرز التي نشرت في أبريل 2016، والتي كانت لها تبعات داخل الدول وقد مست عديد من الشخصيات العالمية وحزكت الرأي العام العالمي.

كما أصبح للأفراد دور كبير في التأثير على الرأي العام وخلق قوة تنافس الأنظمة الحكومية أحيانا وتفرض قوتها في الساحة السياسية المحلية والإقليمية والعالمية، حيث انتقل المفهوم العام من كون الفرد في المجتمع هو المتلقي إلى لعب دور آخر، حيث أصبح ناشرا للمعلومة ومؤثرا وفاعلا في الحياة السياسية.

لقد برز مفهوم القوة الناعمة مع جوزيف ناي عميد في جامعة هافارد ورئيس مركز الاستخبارات الأمريكي وله العديد من المقالات والكتب وقد طرح المفهوم لأول مرة في كتابه عام 1995 " الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية " وطور مفهوم الكتاب من خلال نشره لكتاب " القوة اللينة – وسائل النجاح في السياسة العالمية " في 2004، ويبرز من خلاله قدرة القوة الناعمة على التأثير في الآخرين لتحقيق الأهداف المسطرة. (بحيري، 2008، صفحة 6)

5. أنماط الغزو الثقافي:

في دراستنا لأنماط الغزو الثقافي لدى الدول أو المنظمات نميز بين العديد منها حسب المناهج المستعملة وطرق التجاوب معها ونذكر منها:

1.5 النفوذ:

يعني التأثير غير المباشر في سلوك الطرف الآخر وقراراته من خلال استثمار متغيرات لها

أثرها في الطرف الواقع تحت التأثير (نوفل وآخ، 2014، صفحة 57) وهذا المنهج يعتمد على قوة التأثير الثقافي كاللغة الانجليزية التي أصبحت لغة عالمية ومن خلال البرامج الثقافية كالأفلام الأمريكية والبرامج الأكثر متابعة في الانترنت والوسائل التكنولوجية المعاصرة.

2.5 التأثير المتبادل:

يقتضي أن يكون للبلدين مصالح مشتركة مما ينتج تأثير كل واحد في الآخر واستمرار هذا التأثير مبني على استمرارية المصالح المشتركة كالتى بين روسيا والصين.

3.5 التغلغل:

و نعني به الانخراط في الجسد السياسي للطرف الآخر بهدف التأثير فيه من داخله وتوجيه قراراته وتصرفاته باتجاه معين (و هو النموذج الذي ابتدعه "تروتسكي" بدعوة التروتسكيين الفرنسيين إلى التغلغل في القطاع الفرنسي في الاشتراكية الدولية سنة 1934). (نوفل وآخ، 2014، صفحة 57)

4.5 الإختراق:

يكون بالتأثير في الطبقة السياسية أو الطبقة الحاكمة ومن خلالها المشاركة في صنع القرار وتوجيهه، وتختلف نسبة الاختراق من دولة لأخرى فقد يكون التدخل فقط في قرارات الدولة اتجاه القضايا العالمية، كتأثير صندوق النقد الدولي في قرارات الدول المستدانة منه، وهناك اختراق في الشأن الداخلي وذلك لكسب مصالح وصفقات داخل الدولة ولعل أسمى تجليات الاختراق تتمثل في الدول التي تنشئ داخلها قواعد عسكرية لدولة أجنبية وبالتالي تصبح هذه الأخيرة تؤثر في قرارات وتوجهات الدولة التي تضم هذه القاعدة العسكرية الأجنبية على أراضها.

6. عناصر الغزو الثقافي:

للتأثير في الدول والشعوب يتطلب من المؤثر عديد من العناصر حتى يتمكن من التأثير في الطرف الآخر ونذكر منها:

- القيم الإنسانية والثقافية السامية.
- قوة الحجة والتأثير والإقناع.
- وسائل التواصل المختلفة.
- التفوق العلمي والتكنولوجي.

- الإغراء من خلال قوة التأثير وإبراز نموذج للثقافة المثالية لدى النخب والجمهور.
- التحالفات.
- امتلاك دبلوماسية قوية.
- كسب الرأي العام والتأثير فيه من خلال المبادئ السامية والقضايا ذات المشروعية.
- التمتع بالمصادقية.
- كما يمكن اعتبار العقوبات الاقتصادية أحد أنماط القوة الناعمة حيث أنها لا تستعمل ضربات عسكرية أو مادية اتجاه دولة أخرى، بل تكتفي بعزل الدولة اقتصاديا كما فعلت أمريكا مع إيران وروسيا مثلا.
- امتلاك المعلومات.
- امتلاك البيانات الخاصة بالأفراد وهذا أصبح متاحا بعد التطور التكنولوجي الرقمي فمثلا شركة أمازون أو فايسبوك يمتلكون معلومات هائلة عن مستخدمي هذه الشبكات والذين يعدون بالملايير ومنتشرين عبر العالم مما يسمح بالتأثير عليهم من خلال الإعلانات والبرامج التثقيفية والدراسية والأفلام والموسيقى وغيرها من وسائل التأثير الثقافي.
- المساعدات المالية والصحية للدول الفقيرة والبرامج التعليمية داخلها.
- الشركات متعددة الجنسيات.
- الشراكات الاقتصادية والقروض المالية.
- التفوق التجاري والصناعي والتكنولوجي والهياكل المعمارية الحديثة، ما يمنح خاصية الجذب والبحث عن التعاون والشراكات.

7. عناصر الغزو الثقافي:

تختلف أنواع التأثيرات الثقافية في الأفراد والمجتمعات والدول عامة، وانطلاقا من هذه الدراسة نحدد بعض فضاءات التأثير الثقافي:

1.7 الأقليات الإثنية:

و التي تجد نفسها مهددة داخل الدولة بصفتها أقلية ضمن أغلبية حاکمة لا تستطيع منافستها، وبالتالي تتأثر بالشراكات الثقافية مع الدول الأجنبية لإبراز وجودها ومكانتها وليتسنى لها التغلب على الأقليات المنافسة لها من نفس مستواها أو من الغالبية التي تهمشها.

2.7 الأحزاب السياسية:

تسعى الدول المهيمنة إلى التعريف بتوجهاتها السياسية عن طريق أحزاب تحمل نفس مبادئها كالديمقراطيين أو الأحزاب الدينية أو الاشتراكية وغيرها.

3.7 المنظمات الخيرية والثقافية:

من خلال المساعدات المالية والمعرفية وتبادل المعلومات والاتصال الدائم إضافة إلى بعض السفريات إلى بلدان أجنبية، مما يؤثر على أفراد هذه المنظمات بطرق مباشرة وغير مباشرة.

4.7 التأثير الديني والمذهبي:

وذلك من خلال تدعيم رجال الدين ماديا ومعنويا ومنهجيا، ومن خلالهم التأثير على أتباعهم كالفكر الديني الوهابي أو الشيعي أو المسيحي وغيرهم.

5.7 التأثير في الطبقة المثقفة:

من خلال تدعيم المنح الجامعية للخارج، ونشر الأبحاث بلغة معينة كالانجليزية مما يتطلب تعلم اللغة والشراكات الجامعية في مجال الأبحاث والتكوين المتواصل، ومن خلال النخبة يتم التأثير في باقي المجتمع.

6.7 التأثير في المجتمع:

من خلال البرامج التلفزيونية المؤثرة كالأفلام الأمريكية والمسلسلات والأشخاص المشهورين العالميين من رجال أعمال وممثلين وفنانين والمؤثرين على الانترنت وغيرهم، ومن خلال الموسيقى والرياضة والفنون ووسائل التواصل الاجتماعي كالفيسبوك واليوتوب وغيرها من أدوات التأثير التي أصبحت ذات فعالية كبيرة في الغزو الثقافي وفي جمع المعلومات عن مستعملها وبالتالي معرفة بياناتهم وميولهم .

7.7 التأثير في الحكومة:

تمر بعض الحكومات بفترات صعبة أو أزمات مما يتطلب بناء شراكات جديدة أو طلب مساعدات أو تحالفات مما يجعلها تحت تأثير هذه الشراكات الجديدة .

8.7 التأثير العكسي:

وهو تأثير الدول الصغيرة أو اللوبيات في الدول العظمى لتكون مساندة لها وفي حمايتها، مما يجعلها ضمن جماعات الضغط العالمية، وهذا لا يتسنى إلا بالقوة الناعمة .

9.7 التأثير من خلال الشركات المتعددة الجنسيات:

إن التأثير الاقتصادي للشركات الأجنبية داخل الدول هو ليس لغرض تجاري بحث بل يتوسع ليشمل عدة جوانب أخرى كنمط التفكير والاستهلاك لسلع معينة، ومن خلاله يؤثر مثلاً في النمط الغذائي والاستهلاكي والآلات المستعملة والتحكم في بعض السلع الإستراتيجية وتحويل بعض السلوكيات من خلال الترويج للسلع بالتأثير والجذب. وبالتالي قد تكون هذه الشركات شريكاً في اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية للدولة، خاصة لدى الدول التي بها عجز اقتصادي أو أزمات سياسية أو مالية حادة.

إذن فالقوة الناعمة هي التأثير في الطرف الآخر بأساليب مدروسة بطريقة غير مباشرة فيغيّر سلوكه تبعاً للأهداف المسطرة دون اللجوء إلى الإكراه أو التهديد، لكن قد تستغرق مدة أطول لتحقيق النتائج المراد تحقيقها مقارنة بالقوة الصلبة العسكرية التي قد تحقق نتائجها في فترة وجيزة لكن بتكاليف ثقيلة.

و بالرغم من أن الصين تعد منافساً إقتصادياً قوياً لأمريكا وللعديد من الإقتصادات العالمية إلا أن التأثير الثقافي الأمريكي أو الفرنسي أو البريطاني أكبر بكثير من الصيني الذي يكاد يكون منعدماً، إلا أن الصين اليوم بدأت تولي أهمية لهذا الجانب من خلال تقديم منح دراسية للأجانب للدراسة في الصين وحمل ونشر ثقافتها لسد فجوة انعزالها ثقافياً وعدم بروزها كقوة ناعمة.

وتعتبر اللغة عاملاً هاماً، لهذا سعت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى نشر اللغة الانجليزية، والتي أصبحت اللغة الأولى عالمياً، وتستعمل حتى في الدول التي لا تعتبر فيها الإنجليزية اللغة الوطنية، إضافة للمنح التعليمية داخل الولايات المتحدة الأمريكية وأصبحت اللغة الانجليزية اليوم أحد الشروط الأساسية للحصول على منصب عمل مرموق في عديد الدول، إضافة إلى غالبية البحوث العلمية والأكاديمية بالانجليزية وحتى الروايات الأدبية بالانجليزية أو ترجمة إليها، كذلك غالبية المعاملات الاقتصادية بالانجليزية خاصة العالمية. وعليه فإن من تشبع بالثقافة الأمريكية سيميل بالتأكيد إلى النموذج الأمريكي خاصة أصحاب المناصب السياسية والاقتصاديين وأصحاب المراكز التعليمية وغيرها وهذا ما يخدم المصالح الأمريكية .

و إذا كانت ثمة مقارنة بين الدبلوماسية العامة والقوة الناعمة فإن هذه الأخيرة تتلخص في القدرة على الاحتواء الخفي والجذب اللين، بحيث يرغب الآخرون في فعل ما ترغب فيه القوة المهيمنة من دون حاجة إلى استخدام القوة الصلبة (الكعود، 2016، صفحة

(30)، والدبلوماسية إضافة إلى أعمالها البروتوكولية والإستراتيجية فإنها تروج للنموذج الفكري والثقافي لدولتها بالتأثير على الجماهير الخارجية والرأي العام العالمي وتوسيع نطاق شراكاتها وتفاعلاتها، مما يتيح التأثير بشكل أفضل في الشعوب والنخب وحتى الحكومات من خلال القوة الناعمة التي تعتبر من عناصر الأنظمة الديمقراطية. و لا يقتصر التأثير الثقافي فقط بين الدول والشعوب المختلفة بل حتى داخل الدولة الواحدة وبين مكونات شعبيها وهذا يرسم برامج ثقافية إستراتيجية بما يتماشى مع توجهات مؤسسات الدولة وعقيدتها. لهذا فيقول جوزيف ناي: "حينما أجعلك تريد فعل ما أريد منك فعله فليس ثمة موجب لاستخدام القوة أصلاً" (العودة، 2016، صفحة 30)، وهذا باستخدام التأثير الثقافي والسياسي والدبلوماسي وغيره من أدوات القوة الناعمة لتحقيق الأهداف المسطرة من دون اللجوء إلى القوة الصلبة.

8. الخاتمة:

بعد التطور الكبير الذي شهده العالم في مختلف المجالات خاصة التكنولوجيا أصبح من غير الممكن لأي دولة أن تعزل نفسها عن العالم أو أن تغلق حدودها، حيث أضحت العالم قرية صغيرة يمكن التواصل داخلها بين مختلف الشعوب وبالتالي التأثير والتأثر بالثقافات العالمية والمشاركة في مختلف الفواعل المحلية والعالمية. ولم تعد المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخل الدول منفصلة عن بعضها البعض بل أضحت متداخلة وحتى الحدود السياسية بين الدول لم تعد مانعة للاتصال والتواصل بين الشعوب والأمم، وبالتالي فإن التداخل الثقافي بين الشعوب هو قائم وتأثيراته على الأمن القومي قد تكون خطيرة، مما يجعل البعد الثقافي في القراءات الجيوسياسية ذو أهمية بالغة ويتطلب وضع خطة متحركة ذات ميكانيزمات إستراتيجية للتغلب على النواقص الثقافية أو النزاعات العرقية والإثنية أو الاختراقات الثقافية، وهذا بإعطاء أولوية للتطور المعرفي والثقافي والتكنولوجي للفرد والمجتمع ككل وتطوير الأنظمة المعلوماتية والشراكات الإستراتيجية لمواجهة كل ما يمس وحدة الوطن وأمنه القومي. إضافة إلى مواجهة جميع التحديات العالمية من التغير الجوي والاحتباس الحراري والإرهاب العالمي والهجرة غير الشرعية والصحة العالمية خاصة انتشار الأوبئة

وكيفية معالجتها، وغيرها من التحديات التي أضحت تهدد العالم وجعلت من الشراكات والاتفاقيات والمعاهدات الدولية أساس لمواجهة هذه التحديات .

إن استمرار التهديدات المعاصرة يفرض أيضا تطوير الجانب العسكري الذي يبقى دوره مهما في مواجهة الفصائل الإجرامية والإرهابية وفي تعزيز مكانة الدولة عسكريا في محيطها الداخلي والإقليمي والدولي حتى لا تكون محل أطماع أجنبية، أو ضعف يستدعي منها تحالفات عسكرية أو إنشاء قواعد عسكرية داخل ترابها مما يشجع على التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية وبالتالي المساس بالسيادة الوطنية، فكل الجوانب الحيوية يجب تدعيمها ومواكبة عصرنتها وتطوراتها لحماية الأمن القومي للدولة.

المراجع:

- boniface, pascal. (2019). *la geopolitique 50 fiches pour comprendre l'actualité* (éd. 6 eme). paris, france: eyrolles.
- أحمد سعيد نوفل، وآخ. (2014). *التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية* (الإصدار الأول). بيروت، لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- أكرام بركان. (2010). تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية. مذكرة ماجستير في العلوم السياسية . باتنة، الجزائر: كلية الحقوق قسم العلوم السياسية جامعة الحاج لخضر باتنة.
- اياد خلف عمر الكعود. (2016). استراتيجية القوة الناعمة ودورها في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة العربية. رسالة ماجستير . عمان، الأردن: كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، عمان.
- تيري، دي مونبريال وجان كلين. (2011). *موسوعة الاستراتيجية* (الإصدار الأول). (سايبين جانسن، المحرر، وعلي محمود مقلد، المترجمون) بيروت، لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- حسين علي بحيري. (2008). *القوى الناعمة، مفاهيم* (الإصدار ب ط). القاهرة، مصر: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية.
- رضوان بوهيدل. (جويلية، 2016). الجيوستراتيجية (الجيوبوليتيك): من الفكر إلى الأداة. *المجلة الجزائرية للأمن الإنساني* (العدد الثاني)، صفحة 236.
- معهد البحرين للتنمية السياسية . (2014). *معجم المصطلحات السياسية* . البحرين.